

الأمثل في تفسير كتاب المنزل

[266] يقوله سبحانه في هذه الآيات: (وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْتِيكُمْ بِآيَةٍ أَنْ تَذُوبُوا بَقَرَةً قَالَُوا أَلَيْسَ لَنَا بُدٌّ؟) (قَالَ أَعُودُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ). أي إن الإستهزاء من عمل الجاهلين، وأنبياء الله مبررون من ذلك. بعد أن أيقنوا جدية المسألة، (قَالَوا أَدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ). وعبارة "ربك" تتكرر في خطاب بني إسرائيل لموسى، وتنطوي على نوع من إساءة الأدب والسخرية، وكأن رب موسى غير ربهم!! موسى عليه السلام أجابهم: (قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ) أي إنها لا كبيرة هرمة ولا صغيرة، بل متوسطة بين الحالتين: (فَاعْلَمُوا مَا تُلْوُونَ). لكن بني إسرائيل لم يكفوا عن لجاجتهم: (قَالَوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا لَوْ زُهِتَا؟) أجابهم موسى: (قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفَرَاءُ فَاقِعٌ لَوْ زُهِتَا تَسْرُورٌ الذَّاطِرُ يَذُ) أي إنها حسنة الصفرة لا يشوبها لون آخر. ولم يكتف بنو إسرائيل بهذا، بل أصرّوا على لجاجهم، وضيّقوا دائرة انتخاب البقرة على أنفسهم. عادوا و(قَالَوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ) طالبين بذلك مزيداً من التوضيح، متذرعين بالقول: (إِنَّ الْبَقَرَ تَشَابَهُ عِلَائِيْنَا وَإِنَّا إِن شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ). أجابهم موسى (قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا ذَلُولٌ تُثِيرُ الْأَرْضَ وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ) أي ليست من النوع المذلّل لحرث الأرض وسقيها. (مُسلّمة) من العيوب كلها. (لا شية فيها) أي لا لون فيها من غيرها. حينئذ: (قَالَوا الآن جئنا بالحق).